الفصل الرابع
المراكز العلمية وأماكن التعليم

أولاً المراكز العلمية.

- **جبل نفوسة.**
- **تاهرت**
- **جزيرة جربة.**
- **وارجلان**

ثانياً: أماكن التعليم.

- **الكتاتيب.**
- **المساجد.**
- **المصليات.**
- **منازل العلماء.**
- **المكتبات .**
- **الوراقون.**
- **نسخ الكتب.**
- **شراء الكتب وبيعها وهبتها ورهنها.**
- **أنواع المكتبات.**

obeikan.com

أ- **المكتبات الخاصة.**

ب- **المكتبات العامة.**

ثالثاً: الصلات الثقافية الخارجية والداخلية:

أ. **الصلات الثقافية المتبادلة الداخلية والخارجية.**

ب. **تبادل المراسلات والكتب العلمية والفقهية.**

obeikan.com

إن تأسيس الدولة الرستمية سنة ١٦٠هـ/٧٧٦م على يد عبد الرحمن بن رستم لم يكن حدثاً عفوياً، بل كان تتويجاً لجهود الإباضية في البصرة وعُمان ودعوتهم التي تضمنت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ومن ناحية أخرى فإن للقبائل البربرية وبالتحديد نفوسة، التي اتفقت طموحاتها مع أهداف الدعوة دورها في إقامة الدولة الرستمية، وهذا ما ذكره عبد الرحمن بن رستم بقوله: "إنما قام هذا الدين بسيوف نفوسة وأموال مزاتة"(١).

أما عن تطور الدولة الرستمية سياسياً منذ تأسيسها حتى سقوطها فقد وجدت دراسات(٢) تناولت هذا الجانب، بل ستتعرض للحياة العلمية في عهدها حتى أواخر القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي.

أولاً: المراكز العلمية:

إن المتتبع لنشاط الإباضية العلمي من الستينات من القرن الثاني حتى أواخر القرن الرابع الهجريين/ الثامن حتى العاشر الميلاديين، يلاحظ أن جبل "نفوسة"، و"تاهرت"، و"جربة"، و"وارجلان" هي أبرز مراكز العلم عند الإباضية في تلك الفترة. ونتيجة لذلك سنقتصر الحديث عنها، وهذا لا يعني انعدام النشاط العلمي في بقية المناطق الإباضية الأخرى؛ ففي خلال ما ذكرته المصادر الإباضية وجدنا نشاطاً علمياً في بعض المراكز الأخرى، مثل: "أريغ"،

(١) الشماخي: السير،ج٢،ص٢٢٦.

(٢) الباروني: الأزهار الرياضية،ج٢،ص١٣١-٣٥٥. محمود إسماعيل: الخوارج في المغرب العربي، ص١٠٧-١٥٦، سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي،ج٢،ص٢٩٥-٣٩٨. محمد عيسى الحريري: البناء السياسي،ص٩١-١٨٦.

و"قسطيلية"، وجبل "دمر"[١] ولكن بعد تلك الفترة. أما قبل ذلك فهي ضئيلة إذا ما تم مقارنتها بمراكز جبل "نفوسة"، و"تاهرت"، وجزيرة "جربة"، و"وارجلان"، لهذا سوف نتطرق إليها دون سواها.

جبل نفوسة:

ارتبط تاريخ جبل نفوسة بالمذهب الإباضي منذ دخوله إلى المغرب العربي، وقد استطاع أهالبي جبل "نفوسة"، بعد محاولات عدة أن يقيموا دولة وفق تعاليم المذهب.

ففي بدايات القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي نجد أحد أبنائه، وهو ابن مغيطر النفوسي توجه إلى البصرة للتعلم على يد أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة، أصول المذهب[٢] وبعدها استطاع ابن مغيطر نشر الدعوة الإباضية في هذا الجبل. ويعد هو أول من فكر بتكوين بعثات علمية [٣] بعد أن لقيت دعوته استجابة واسعة بين قبائل الجبل.

بهذا أصبح جبل نفوسة في بداية القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي مقر الدعوة ومركزها الرئيسي. وبالرغم من أنها أصبحت المنطقة الثانية عند الإباضية بعد تأسيس الدولة الرسمية ومدينة "تاهرت"[٤]؛ إلا أنه ظل يلعب دوراً مهماً في الحياة العلمية؛ فقد استعان عبد الوهاب بن رستم ثاني الأئمة

(١) أبو زكريا: سير الأئمة،ص١٨٨.الوسياني: سير أبو الربيع، ورقة ٤٧، ٥٠، ٥٩، ٦٣، ٧٦، ١١٣ "مخطوط". الشماخي: السير، ج٢،ص٦٥، ٨٢.

(٢) الشماخي: السير، ج١،ص١٢٨.

(٣) علي يحيى معمر: الإباضية في موكب التاريخ، ج٢ ق١،ص٢٨.

(٤) الدرجيني: طبقات الإباضية ، ورقة ٣٦"مخطوط".

الرستمين بعلماء الجبل في الرد على المخالفين لمذهبهم من الواصلية[١]. وبعد سقوط الدولة الرستمية على يد الفاطميين[٢] عاد جبل نفوسة مرة أخرى ليصبح المقر الرئيسي لإباضية المغرب فكرياً ومذهبياً وسياسياً تحت حكم العزابة والشيوخ[٣]. وأبرز من تعلم في جبل نفوسة أبو القاسم يزيد بن مخلد، وأبو خزر يغلى بن زلتاف الوسيانيان[٤]، وأبو مسور سيجا بن يوجين اليهراساني[٥]، وذلك في النصف الأول من القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي.

وقد برز في جبل "نفوسة" عدة قرى، كمراكز علمية وملتقى العلماء، مثل: "شروس"، و"والالت"، و"جادو"[٦].

---

(١) أبو زكريا: سير الأئمة، ص٧٦. الدرجيني: طبقات الإباضية، ورقة ٥٠، ٥١ "مخطوط". الباروني: الأزهار الرياضية،ج٢،ص١٧٠. الواصلية هو مذهب واصل بن عطاء (٨٠هـ-١٧١هـ) من أئمة البلاغة وعلم الكلام ولقد انتشرت الواصلية في دار الإسلام ومنها بلاد المغرب، ويذكران مجمع الواصلية يقع بالقرب من تاهرت إذ يبلغون حوالي ثلاثين ألف. ولواصل بن عطاء عدد من المؤلفات منها المنزلة بين المنزلتين وغيره وسموا بالمعتزلة لاعتزال واصل وعمرو بن عبد الله حلقة الحسن. [ابن خلكان: وفيات الأعيان،ج٦،ص٧-١١. ياقوت الحموي: معجم البلدان،ج٢، ص٨. ابن المرتضى، أحمد بن يحيى(ت٨٤٠هـ/١١٢٦م): طبقات المعتزلة، ص٣، تحقيق، سوسنة ،ديفلد- فلزر، ط٢، ١٤٠٩هـ /١٩٨٨م، دار المنتظر – بيروت- لنبان. أحمد أمين، ضحى الإسلام، ج٣،ص٩٢، ٩٣،ط٧، ١٣٤٨هـ/١٩٦٤م، مكتبة النهضة. المصرية، القاهرة- مصر].

(٢) ابن عذاري: البيان المغرب،ج٢،ص١٩٧. ابن خلدون: العبر ،ج٦،ص٢٤٦.

(٣) علي يحيى معمر: الإباضية في موكب التاريخ، ج٤،ص٢٦٠.

(٤)أبو زكريا: سير الأئمة ،ص١٦٥.

(٥) الدرجيني: طبقات الإباضية، ورقة ١٠٥، ١٠٦ "مخطوط".

(٦) الشماخي: السير، ج١،ص٢٥٢،ج٢،ص٩.

"تاهرت":-

وهي عاصمة دولة إباضية المغرب منذ تأسيسها على يد أول أئمتها عبد الرحمن بن رستم(١). وتعد "تاهرت" المدينة الأولى عند إباضية المغرب منذ تأسيسها ومقصد العلماء والطلاب إليها، إذ كانت تعج بهم؛(٢) لهذا تعد الأولى علمياً لجميع العلوم حتى سقوطها على يد الفاطميين.(٣) وقد اشتهر الأئمة الرستميين باهتمامهم البالغ بالعلم ونشره، فقد وصفوا بأنهم: "بيت العلوم، والجامع لفنونها من علم التفسير والحديث والفرائض والأصول والفروع وعلم اللسان، وعلم النجوم"(٤). ولذلك ظل الأئمة الرستميين منذ تأسيس دولتهم يستجلبون الكتب من البصرة لتنشيط الحركة العلمية بـ"تاهرت". فهذا عبد الوهاب بن رستم كان لا يبخل في دفع الثمن الباهظ في شراء الكتب(٥).

ومن اشهر المتعلمين فيها أبو يوسف يعقوب بن سيلوس الطرفي السدراتي(٦) الذي تعلم على يد عبد الرحمن بن رستم(٧)، وكذلك عمروس بن فتح النفوسي، إذ مكث فيها عشرين سنة(٨)، وسعد بن أبي يونس

(١) الدرجيني: طبقات الإباضية ، ورقة ٣٦"مخطوط".
(٢) الوسياني: سير أبو الربيع، ورقة ١٣٤، ١٣٥ "مخطوط".
(٣) ابن عذارى: البيان المغرب،ج٢ج،ص١٩٧. ابن خلدون،ج٦،ص٢٤٦.
(٤) الدرجيني: طبقات الإباضية ، ورقة ٤٩ "مخطوط".
(٥) الباروني: الأزهار الرياضية، ج٢،ص٢١٨. صالح عمار الحاج: المغرب العربي من خلال خلافة المعز لدين الله الفاطمي (٣٤١- ٣٦٢هـ/٩٥٢-٩٧١م): ج١، ص٧٤، المكتب المصري، القاهرة- مصر، (د.ط) (د.ت). أحمد إلياس: الإباضية ، ص٢٦
(٦) الشماخي: السير،ج١، ص٢٤٣، ٢٤٤.
(٧) الوسياني: سير أبو الربيع، ورقة ١٠٠ "مخطوط".
(٨). الشماخي: السير،ج١،ص١٩٥.

الطمزيني[١]، وأبو الفتاح[٢]، وجميعهم من علماء النصف الثاني من القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي.

وارجلان:

وقد ارتبطت بالدعوة الإباضية منذ دخولها إلى بلاد المغرب في بدايات القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي، إذ نجد ضمن حملة العلم الخمسة من أهالي "سدراتة" إحدى قراها عاصم السدراتي، الذي ساهم في نشر الدعوة فيها فلقيت دعوته استجابة من قبلهم[٣] . ومن ناحية أخرى كان له دور مهمٌ في إقامة إمامة أبي الخطاب المعافري سنة ١٤٠هـ/٧٥٨م[٤].

وبعد قيام الدولة الرستمية ارتبطت وارجلان بـ"تاهرت" روحياً وثقافياً أكثر من ارتباطها بها سياسياً واقتصادياً، وذلك أسوة بالمناطق الإباضية الأخرى، مثل: جبل "نفوسة" وجزيرة "جربة"، إذ لم يعين ولاة وعمال عليها من قبل الأئمة الرستميين في تلك الفترة. أما بعد ذلك فقد عين أبو خزر يغلى بن زلتاف محمد جمال المديوني عليها[٥]، لأن هذه الفترة كانت الإباضية في مرحلة الظهور -أي الحرب-، وذلك في أثناء ثورة أبي خزر[٦]. لهذا كانت "وارجلان" منطقة جاذبة للعلماء النازحين من "تاهرت" بعد سقوط الدولة

(١)أبو زكريا : سير الأئمة،ص٩٢.

(٢) الشماخي: السير،ج١،ص٢٢٢.

(٣) مصطفى باجو: أبو يعقوب الوارجلاني،ص٣١.

(٤) أبو زكريا: سير الأئمة،ص٣٩.

(٥) الشماخي: السير، ج٢،ص٢٢٩.

(٦) ابن الأثير: الكامل،ج٨،ص٥٩٩. محمد جمال الدين سرور: تاريخ الدولة الفاطمية، ص٣٣، دار الفكر العربي، القاهرة- مصر (د. ط) (د.ت).

الرستمية، مثل يعقوب بن أفلح آخر أفراد البيت الرستمي، واستنقاذ بقايا الكتب المتواجدة في مكتبة المعصومة بـ"تاهرت"، وهروب أهلها بها إلى وارجلان؛[١] لهذا كان لسقوط "تاهرت" نتائج إيجابية عليها. وهذا لا يعني عدم وجود علماء بها في فترة الدولة الرستمية؛ إذ برز العديد منهم من أمثال: أبو يعقوب يوسف الطرفي الذي تعلم في "تاهرت" بعدها عاد إلى "وارجلان"، فكان عالمها وقاضيها ومفتيها[٢]. وقد تفقه على يديه أشهر علماء "وارجلان" في النصف الأول من القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، وهو الشيخ أبو صالح جنون بن يمريان[٣]، الذي وصف بأنه أحد أقطاب الدين، وشامل اليتامى والمساكين، وإليه انتهت رئاسة وارجلان[٤].

وممن اشتهروا بالعلم في وارجلان بعد سقوط الدولة الرستمية، حمؤ بن لؤلؤ، والعز بن محمد[٥]، ويعقوب بن أفلح الرستمي الذي كان له دور مهم في تنشيط الحركة العلمية في وارجلان، وابنه سليمان الذي عمل بدوره على أذكاء وتأجيج روح الجدل، إذ تبنى آراء فقهية شاذة عن المذهب الإباضي [٦]. ومنهم أيضاً أبو نوح سعيد بن زنغيل، الذي آوى إلى "وارجلان"[٧]، بعد فشل ثورة أبي خزرإمام الفاطميين[٨]؛ فاستغل أهالي

(١) مصطفى باجو: أبو يعقوب الوارجلاني، ص٧٩،٨٠.
(٢) الشماخي: السير، ج١،ص٢٤٣، ٢٤٤.
(٣) الوسياني: سير أبو الربيع، ورقة ١٠٢ "مخطوط".
(٤) الدرجيني: طبقات الإباضية، ورقة ٢٩٢، "مخطوط".
(٥) أبو زكريا: سير الأئمة،ص١٢٤.
(٦) الدرجيني: طبقات الإباضية، ورقة ٩٤- ٩٦ "مخطوط".
(٧) أبو زكريا: سير الأئمة،ص١٢٤.
(٨) ابن الأثير: الكامل، ج٨،ص٥٩٨، ٥٩٩. الشماخي: السير،ج٢،ص٣٦.

وارجلان علمه فكانوا يجتمعون عنده في مسجد أبي صالح جنون بن يمريان[١]. وقد تفقه عليه خلق كثير وأئمة أَجِلّة؛ وأبرزهم مؤسس حلقة العزابة أبو عبد الله محمد بن بكر الفرسطائي الذي تعلم في "جربة" على يديه[٢] ثم توجه إلى "وارجلان"[٣].

ومن علمائها أيضاً أبو صالح الياجراني[٤]، وأبو عبد الله محمد السدراتي[٥]. وقد زارها العديد من العلماء، منهم أبو صالح بكر بن قاسم، وأبو زكريا فيصل، وأبو موسى عيسى بن السمح[٦]، وذلك في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري/ العاشر الهجري.

جزيرة جربة:

ونتيجة لارتباط جزيرة "جربة" بالدولة الرستمية، وتبنى أهلها للدعوة الإباضية أصبحت وثيقة الصلة بـ"تاهرت" في المجال الروحي والمذهبي والثقافي أكثر منه سياسياً واقتصادياً. فلقد كان الأهالي يولون من يتولى شؤونهم، ثم يبعثون باسمه للإمام الرستمي للمصادقة عليه، وأيضاً عدم

(١) الشماخي: السير،ج٢،ص٤١.
(٢) الدرجيني: طبقات الإباضية ، ورقة ١٤٩ "مخطوط".
(٣) أبو زكريا: السير الأئمة، ص١٧٧.
(٤) الشماخي: السير،ج٢،ص٥٧.
(٥) أبو زكريا: سير الأئمة،ص١٧٧.
(٦) الدرجيني: طبقات الإباضية ، ورقة ٢٩٤ "مخطوط".

اشتراكها مع الدولة الرستمية في الثورات التي قامت ضد الأغالبة في القيروان، إنما احتفظت بقوتها لنفسها(١).

أما من حيث الجانبين: العلمي والمذهبي فقد ارتبطت جزيرة "جربة" بالدولة الرستمية في هذين الجانبين؛ إذ نبغ بها عشرات من العلماء(٢). وبعد سقوط الدولة الرستمية ظلت جزيرة "جربة" على إتصال مع إباضية المغرب، سواءً مع جبل "نفوسة" أو جبل "دمر" أو "وارجلان". وقد ظلت مركزاً علمياً مهماً خاصة فيما يتعلق بالمناظرات السياسية(٣) وبالتحديد منذ النصف الأول من القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، وذلك نتيجة تحول أهلها من الخلفية الإباضية إلى الوهبية الإباضية(٤). لهذا نجد ذكراً لعلماء الإباضية فيها بكثرة خلال هذه الفترة حتى وقت متأخر(٥).

ومن علمائها أبو مسور سيجا بن يوجين اليهراساني(٦) الذي يرجع الفضل إليه في تحول أهالي "جربة" من المذهب الخلفي إلى المذهب الوهبي الإباضي(٧)، وكذلك أبو صالح بن أبي بكر بن قاسم اليهرساني، وأبو زكريا فيصل بن أبي

(١)علي يحيى معمر: الإباضية في موكب التاريخ،ج٣،ص٢١١،ص٢٢٢، ط١، ١٣٨٤هـ/١٩٦٦م، دار الثقافة ،بيروت- لبنان.

(٢) محمد دبوز: المغرب الكبير، ج٣، ص٣٨٢.

(٣) الوسياني: سير أبو الربيع ورقة ٢٦ "مخطوط". الدرجيني: طبقات الإباضية ورقة ٢٨٥، ٢٨٦ "مخطوط". الشماخي: السير، ج١، ص٢٤٦، ج٢، ص٣٣.

(٤) الدرجيني: طبقات الإباضية ورقة ١٤١، ١٤٢ "مخطوط".

(٥) الشماخي: السير، ج٢،ص٤٩، ٥٢، ٦٩، ٧٥، ٨٣، ٢١٠، ٢١١، ٢٢٢.

(٦) الوسياني: سير أبو الربيع، ورقة ٢٦ "مخطوط".

(٧) الشماخي: السير،ج٢، ص٣٢.

مسور، وأبو عمرو النميلي، وأبو محمد بن ويسلان بن أبي بكر، وهؤلاء من علماء النصف الثاني من القرن الرابع والنصف الأول من القرن الخامس الهجريين/ العاشر والحادي عشر الميلاديين(١).

وممن تعلم فيها أبو محمد عبد الله بن مانوج اللمائي، وأبو عبد الله محمد بن بكر، وأبو محمد ماكسن بن الخير، وجميعهم تعلموا على ٢يد علماء "جربة"(٢)، ومنهم أبو نوح سعيد بن زنغيل الذي مكث في "جربة" فترة من الزمن(٣)، وايضاً أبو فيصل بن أبي مسور اليهرساني، وغيرهما من العلماء(٤).

وبهذا حظيت جزيرة "جربة" منذ تحول أهلها من الخليفة إلى الوهبية (٥) باهتمام إباضية المغرب وأصبحت مركزاً علمياً مهماً لهم، حتى أنه أصبح يُطلب من علماء "جربة" التوجه لمناطق أخرى من المغرب لتعليم أهلها. إذ يروى أن أبا صالح بن أبي بكر بن قاسم اليهرساني عندما زار جبل "دمر" طلب منه مقدمها زيري بن بلكين أن يزورهم ويعلمهم حتى يقفوا ضد البدع(٦).

(١) الدرجيني: طبقات الإباضية ،ورقة ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٨-٣١٠. الشماخي:السير، ج٢، ص٥١، ٥٢، ٥٤، ٥٥.

(٢)أبو زكريا: سير الأئمة، ص١٧٣. الشماخي، السير، ج٢، ص٧٠، ٨٣.

(٣) الدرجيني: طبقات الإباضية ، ورقة ١٤٩ "مخطوط"

(٤) الشماخي، السير، ج٢، ص٧٠، ٨٣.

(٥) حول الفرقة الخلفية، أنظر: مسميات الإباضية في الفصل الثالث من الدراسة.

(٦) الوسياني: سير أبو الربيع، ورقة ٣٠، ٣١"مخطوط". الدرجيني طبقات الإباضية ، ورقة ٣٠٥"مخطوط". الشماخي: السير، ج٢،ص٤٩.

ثانياً: أماكن التعليم:

يتضح لدى المهتمين بدراسة الجوانب الحضارية في العصور الإسلامية، وعلى وجه الخصوص المهتمين منهم بالجانب العلمي، أن الحياة العلمية لم تكن مستقلة عن الدولة؛ فقد اهتم القائمون على الدول من خلفاء وأئمة بهذا الجانب، إذ كان لهم دور مهم في الحركة العلمية، وهذا ينطبق على أئمة الدولة الرسمتية وعلمائها. إذ عملوا على تنشيط الحركة العلمية في دولتهم، فقد روي عن الأئمة الرستمين بأنهم: "بيت العلوم، وجامع لفنونها"(١).

وفي أواخر القرن الثالث حتى أواخر القرن الرابع الهجريين/ التاسع والعاشر الميلاديين، لعب علماء المذهب في تنشيط الحركة العلمية وإقامة المجالس والحلقات السرية، بل تعدى ذلك إلى تأليف ونسخ الكتب الخاصة بالعقيدة الإباضية (٢).

ومن أبرز العلماء الذين اهتموا بهذا الجانب أبو الربيع سليمان بن زرقون(٣)، ويعقوب بن أفلح(٤)، وأبو صالح جنون بن يمريان(٥)، وحسنون بن أيوب(٦)، وأبوالقاسم يزيد بن مخلد،وأبوخزر يغلى بن زلتاف، اللذان ما لبثا أن كونا حلقة سرية للتدريس والتعليم فتوافد إليهما الراغبون في الاستزادة من المعرفة والعلوم

(١) الدرجيني: طبقات الإباضية ، ورقة ٤٩ "مخطوط".
(٢) خليفات: النظم الاجتماعية، ص٢٠.
(٣) أبو زكريا: سير الأئمة،ص١٢٨.
(٤) المصدر نفسه، ص١٢٤.
(٥) الوسياني: سير أبو الربيع، ورقة١٠٢ "مخطوط" . الدرجيني: طبقات الإباضية ، ورقة٢٩٢، ٢٩٣ "مخطوط".
(٦) الشماخي: السير،ج١،ص٢٤٧.

الإباضية[١]. ويعد سليمان بن زرقون، وأبو القاسم يزيد بن مخلد من الذين أسسوا قواعد جديدة للحلقات عند إباضية المغرب، والذي سارت عليه بعد ذلك مجالس العزابة [٢] التي أصبحت السلطة العليا عند إباضية المغرب، منذ أن أسسها ووضع نظامها أبو عبد الله محمد بن بكر سنة ٤٠٩هـ/١٠١١م[٣].

لهذا ظل علماء الإباضية من تلك الفترة يهتمون بتنشيط الحركة العلمية؛ بإقامة مجالس وحلقات التعليم، وكذلك نسخ وتدوين كتب المذهب، واجتهاد مشائخهم أيضاً في وضع قواعد ونظم خاصة بهم.

ومما سبق يتضح أنه لا بد من وجود أماكن علمية ومقرات، يتم فيها إلقاء العلوم للطلاب وغيرهم ممن يرغبون بالاستفادة، وسوف نصنف هذه الأماكن والمقرات إلى أصناف، يرتبط كل صنف منها بمرحلة معينة من مراحل التعليم التي تنقسم إلى قسمين، وهي شبيهة بالمراحل المتواجدة في دار الإسلام: المرحلة الأولى والمرحلة العليا، لهذا سنتحدث عن هذه الأماكن مفصلين الحديث عن كل مكان اتخذ مقراً للنشاط التعليمي[٤].

(١) أبو زكريا: سير الأئمة،ص١٣٦.

(٢) خليفات : النظم الإجتماعية، ص٢١.

(٣) الدرجيني: طبقات الإباضية ، ورقة ١٥٤، ١٥٦، ١٥٩، ١٦٠ "مخطوط".

(٤) يعد هذا التصنيف غير مقيد وليس شرط، إلا أننا أردنا من ذلك هو التسهيل.

الكتاتيب:

مفردها كتاب، وتُطلق الكتاتيب على المكان الخاص بتعليم الصبيان القراءة والكتابة وتحفيظهم القرآن الكريم(١)، إلا أن في المغرب العربي اقتصر مهمة الكتاتيب على تعليم القرآن الكريم(٢). ولأن الإسلام يحث على طلب العلم، فقد كثرت الكتاتيب في مختلف بلدان الإسلام، ومنها المغرب العربي، فقد عرفت الإباضية الكتاتيب فكانت تطلق عليها تارة محضر الصبيان، وتارة أخرى مكتب الصبيان(٣)؛ لأن اشتقاق كلمة المكتب تفيد معنى "الكتاب" وهو موضع تعليم الصبيان(٤).

وبالرغم من عدم وجود معلومات حول الكتاتيب في تلك الفترة، فإننا نجد بعض الإشارات المبعثرة التي يستنتج منها بعض المعلومات عن وجودها. فهذا عمرو بن يمكتن أحد علماء الإباضية في النصف الأول من القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي، افتتح مقراً شبيهاً بـ"الكتاتيب"، لتحفيظ القرآن الكريم، إذ تخرج منه عدداً من طلاب الإباضية في مجال حفظ القرآن

(١) الموسوعة الميسرة،ص١٤٤، إشراف/محمد شفيق غربال، ط١، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م، دار الكتب، القاهرة-مصر. أحمد مجاهد مصباح: تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي، ص٢١٥، ط٢، ١٣٩٨هـ/ ١٩٩٨م، دار الطباعة المحمدية، القاهرة- مصر. محمد منير مرسي: التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية، ص٢٠٩، ط٢، ١٤١٣هـ/١٩٩٣، عالم الكتب، القاهرة- مصر.

(٢) ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد (ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م): مقدمة بن خلدون، ص٥٣٨، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت- لبنان، (د.ط)، (د.ت).

(٣) الوسياني: سير أبو الربيع، ورقة ٥٩، ٦٢، ١٣٦، ١١٨ "مخطوط". الشماخي: السير، ج٢،ص١٣٠.

(٤) ابن منظور: لسان العرب،ص٦٩٩ مادة "كتب".

الكريم وإجادة الكتابة واللغة العربية[١]. ويروى بأن الشكاس مؤسس الفرقة الشكاسية كانت بداية تعلمه في الكتاتيب[٢]. ويروى بأن بيت يعقوب بن أفلح في "راجلان" كان بجانب محضر الصبيان[٣] وهذا يدل على تواجد الكتاتيب. ومن ناحية أخرى فإنه من المعروف أن المعلم الذي يعلم في الكتاتيب يعرف بمعلم الصبيان، وهناك أيضاً ذكر للفظ "المؤدبين" في تلك الفترة[٤]، وهؤلاء كانوا معلمي الصبيان في بداية أمرهم ثم انتقلوا إلى تعليم الخاصة وتأديبهم، ومنهم: مؤدب سليمان بن زرقون، والشكاس[٥].

المساجد:

تعد المساجد منذ عهد الرسول -ﷺ- ذات وظائف عدة، منها السياسية والاجتماعية والدينية إلى جانب وظائفها العلمية[٦]. وبهذا وجدت الحلقات والمجالس العلمية فيها، ولكونها منتشرة في جميع الأقطار الإسلامية. وتكمن أهميتها في كون المسلم يرتادها خمس مرات في يومه؛ لهذا كان المسجد يعد من أهم المراكز العلمية في دار الإسلام[٧]. وبما أن الإباضيين في المغرب العربي

(١) علي يحيى معمر: الإباضية في موكب التاريخ، ج٢،ق م،ص٥٨.

(٢) أبو زكريا: سير الأئمة،ص١٣٤.

(٣) الوسياني: سير أبو الربيع، ورقة ١٣٦.

(٤) المخطوط نفسه، ورقة ٦٢، ٦٤، ٧٦. الشماخي: السير، ج٢،ص٩.

(٥) الدرجيني: طبقات الإباضية ، ورقة ٩٨، ١٠٥ "مخطوط".

(٦) أحمد مجاهد مصباح: تاريخ الحضارة، ص٢٢٣-٢٢٥. محمد منير مرسي: التربية الإسلامية، ص٢٠٥.

(٧) ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي، (ت٥٧١هـ/ ١١٧٦م) تاريخ مدينة دمشق، تحقيق/ محب الدين أبو سعيد عمر بن غرامة العمري، ج٤١،ص٣١٩، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، دار الفكر، بيروت- لبنان. عبد المنعم محمد كندو: الحياة العلمية في بلاد

كانوا مهتمين بالعلم، فقد كانوا يقعدون للتعلم والتعليم، فيه منذ تأسيس الدولة الرستمية حتى سقوطها، بعد ذلك عادت الإباضية في المغرب إلى طور السرية والكتمان، إذ أقاموا الحلقات والمجالس السرية[١] خوفاً من بطش الدولة الفاطمية والدول القائمة بعد ذلك حتى بداية القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي[٢].

مساجد تاهرت:

تعد هذه المساجد من الأماكن التي تقام فيها مجالس العلم وحلقاتها، إذ كانت عامرة بالناس، وكانوا يجتمعون ويبحثون فيها المسائل، وتقام فيها أيضاً مجالس المناظرات والحلقات العلمية[٣]. وما يؤكد ذلك ما ذكره ابن الصغير المالكي[٤] بأنه كان بينه وبين أحد علماء الإباضية، وهو أبو الربيع سليمان بعض المناظرات في أحد مساجد "الرهادنة" – أحد أحياء "تاهرت" – وذلك في زمن

الشام في القرنين السابع والثامن، الهجريين، الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين،ص٥٥، ٦٣، كلية الآداب بجامعة صنعاء، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، رسالة دكتوراه غير منشورة.

(١) خليفات: النظم الإجتماعية، ص٢٠. ما عدا ما قام به أبو عبد الله محمد بن بكر مؤسس مجالس العزابة، إذ أتخذ مسجد المنية الذي يقع خارج "تقيوس" في بداية الأمر لإقامة حلقتة العلمية، ثم أقامها بعد ذلك في غار تين أسلى بوادي "أريغ". [أبو زكريا: سير الأئمة، ص١٧٥. الدرجيني: طبقات الإباضية ورقة ١١٤، ١٥١ "مخطوط". مصطفى باجو: أبو يعقوب الوارجلاني، ص٩٨].

(٢) الدرجيني: طبقات الإباضية، ورقة ٣٨٤ "مخطوط". الشماخي: السير، ج٢،ص٩٧.

(٣) الباروني: الأزهار الرياضية، ج٢،ص٣٤٩، ٣٥٠. بكير سعيد أعوشت: نفحات السير، ج١، ص٤٥.

(٤) سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي، ج٢،ص٣٨هامش٣٠٤ نقلاً عن. سير الأئمة الرستمين، ص٥٧.

إمامة أبي حاتم يوسف بن محمد أبي اليقظان (ت ٢٩٤هـ/٩٠٧م).الذي ساد في عهده الحرية المذهبية[١]

إذ كان يدرس في مساجد "تاهرت" التفسير والفقه وتاريخ الرسول – ﷺ – والخلفاء الراشدين، وفي كل المواضيع التي تشغل بال الرعية[٢].

مساجد جبل نفوسة :

وقد تعددت هذه المساجد بتعدد قراها ومدنها؛ لأنها عبارة عن قرى متباينة يصعب تجمعها[٣]. وقد اشتهرت بوجود الحلقات ومجالس العلم[٤]، إذ يروى بأنه: "من عادة نفوسة أن يجعلوا سترة على الصف الأخير من المساجد وذلك في جميع مساجدها يدخله النساء لسماع العلم وللصلاة" [٥].

ومن أبرز تلك المساجد في فترة الدراسة:-

مسجد عبد الوهاب بن رستم :

يقع مسجد عبد الوهاب ثاني أئمة الدولة الرستمية في قرية "ميرى" أعلى سفح جبل نفوسة[٦]. وكانت تلقى فيه المحاضرات العلمية

(١). بكير سعيد أعوشت: نفحات السير، ج١، ص٤٥.
(٢). محمد دبوز: المغرب الكبير، ج٣، ص٤٠٥.
(٣) الوسياني: سير أبو الربيع، ورقة ٤٨، ٤٩ "مخطوط".
(٤). الشماخي: السير، ج٢، ص٤.
(٥) المصدر نفسه، ج٢،ص١٧٩.
(٦) أبو زكريا: سير الأئمة ،ص٧٦، الشماخي: السير، ج١،ص١٤٠. محمد دبوز: المغرب الكبير، ج٣، ص ٤٠٨. علي يحيى معمر. الإباضية في موكب التاريخ، ج١،ق١،ص٩٣. محمد عيسى الحريري: البناء السياسي، ص١٢٩.

والتدريس[١]؛ إذ أقام عبدالوهاب بن رستم فيها سبع سنوات[٢] وذلك سنة ١٨٩هـ/٨١١م على الأرجح؛ لأنه بعد ذلك عاد إلى "تاهرت"، (وذلك بعد ما وطد النفوذ الرستمي في إقليم "طرابلس" وكثير من جهات جنوب إفريقية)- يقصد بها الواحات الجنوبية للمغرب الأدنى-، نتيجة المعاهدة التي قامت بينه وبين عبد الله بن إبراهيم بن الأغلب سنة١٩٦هـ/٨١١م [٣].

مسجد أبي هارون:

ويقع في مدينة "ابناين" -أحد مدن جبل نفوسة [٤]-، ونسب لأبي هارون التملوشائي أحد علماء النصف الأول من القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، وكان أبو الربيع سليمان بن هارون يقوم بالتعليم فيه، ومن التلاميذ الذين مكثوا فيه لأخذ العلم أبو زكريا يحيى بن الخير بن أبي الجناوني أحد علماء بداية القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي[٥].

(١) الدرجيني: طبقات الإباضية ، ورقة ٥٨ "مخطوط".

(٢) محمد عيسى الحريري: البناء السياسي،ص١٣٠، ١٣٥.

(٣) ابن الأثير: الكامل، ج٦،ص٢٧٠. بدر عبدالرحمن محمد: الأغالبة والأدارسة في بلاد المغرب وعلاقاتهم بالقوى السياسية المعاصرة لهم، ص١٧، ط١، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة- مصر.

(٤) الوسياني: سير أبو الربيع، ورقة ١٥٨ "مخطوط". علي يحيى معمر: الإباضية في موكب التاريخ، ج١، ق١،ص١٨٩.

(٥) الشماخي: السير، ج٢،ص١٧٨،١، ١٧٩.

مسجد قنطرارة:

ويُنسب هذا المسجد إلى "قنطرارة" بجبل نفوسة، إلا أنها تستقل بحاكمها عن الجبل أيام الدولة الرستمية[١]، وذلك بسبب أنها كانت متجاورة مع المخالفين[٢]؛ إذ أنها من مدن جبل نفوسة التي تقع بالقرب من المناطق التابعة لدولة الأغالبة. وتعرف –حالياً– "بتجي"[٣].

وقد كانت تعقد فيه حلقات العلم؛ إذ يروى أن أبا نوح سعيد بن زنغيل، سأله أبو عبد الله محمد بن أبي بكر عن ثلاث مسائل في محراب المسجد [٤].

مسجد امسراتن:

ويقع هذا المسجد في "جادو" المدينة الأولى في جبل نفوسة، حيث كانت ملتقى علماء الإباضية[٥].

وممن اتخذه مجلساً للعلم[٦] أبو يوسف وجدليش أحد علماء النصف الثاني من القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي؛ إذ أنه كان يذهب إليه فيؤذن ويصلي ثم يقيم مجلساً لتلامذته[٧].

---

(١) المصدر نفسه، ج١،ص١٦٨، ١٨٤،ج٢، ص٢٢٧. علي يحيى معمر: الإباضية في موكب التاريخ، ج١، ق٢، ص١٨٠،١٧٩.

(٢) الوسياني: سير أبو الربيع، ورقة ٤٨، ٤٩ "مخطوط".

(٣) علي يحيى معمر: الإباضية في موكب التاريخ، ج١، ق٢،ص١٨٠.

(٤) أبو زكريا: سير الأئمة،ص١٦١.

(٥) الشماخي: السير، ج٢،ص٩.

(٦) المصدر نفسه، ج١،ص٢٠٦.

(٧) المصدر نفسه، ج٢،ص٢٤، ٢٥.

وقد لعب هذا المسجد دوراً مهماً في حياة إباضية المغرب علمياً. فقد كان يؤمه التلاميذ الذين انتهوا من دراستهم ويلازمونه فترة يستمعوا إلى عدد من العلماء الذين كانوا يتواجدون فيه ليأخذوا عنهم ويناقشوهم، حتى يطمئنوا إلى علمهم وكفاءتهم(١).

مسجد جنون في وارجلان:-

وينسب هذا المسجد لأبي صالح جنون بن يمريان(٢). وكان أهالي وارجلان يجتمعون فيه للبحث في المسائل الفقهية، وذلك في زمن أبي نوح سعيد بن زنغيل(٣).

وهذا لا يعني أن هذا المسجد هو الوحيد في "وارجلان"؛ فقد أشارت بضع المصادر الإباضية إلى وجود عددٍ منها، إلا أنها لم تشر لوجود حلقات علمية فيها، كما هو الحال في بقية المساجد -أنذاك-. ويعود السبب في ذلك إلى الأوضاع السياسية المتدهورة لإباضية المغرب بعد فشل ثورة أبي خزر، وثورة سعيد بن يوسف الهواري(٤). وهذا ما أدى بدعوتهم للدخول في طور السرية والكتمان، وإقامة حلقاتهم ومجالسهم سواءً كانت علمية، أم سياسية في أماكن

(١) علي يحيى معمر: الإباضية في موكب التاريخ، ج١، ق٢، ص٢٠١.

(٢) أبو زكريا: سير الأئمة، ص١١٣. الدرجيني: طبقات الإباضية، ورقة ٢٩٢-٢٩٥ "مخطوط".

(٣) أبو زكريا: سير الأئمة، ص١٥٥. الشماخي: السير، ج٢ص٤١. مصطفى باجو: أبو يعقوب الوارجلاني،ص٩٧.

(٤)أبو زكريا: سير الإئمة، ص١٤٢-١٤٤. ابن الأثير: الكامل،ج٨،ص٥٩٩، ٦٢٤.

يصعب معرفتها مثل المغارات والكهوف[١] أما المساجد فاقتصرت على وظيفتها الدينية من صلاة وعبادة[٢].

مساجد جزيرة جربة:

وتعد هذه المساجد منذ عهد الدولة الرستمية، من أبرز أماكن تلقي العلوم، إذ كان علمائها يلقون دروسهم فيها[٣].

ومن أبرزها مسجد بني يهراسن، نسبة إلى أبي مسور بن سيجا بن يوجين اليهراساني[٤]. وقد عقد فيه في بداية القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، حلقة علمية بين مؤسس حلقة العزابة أبي عبد الله محمد بن بكر، وابن سودرين، وابن زرورتن، وعبد الله المدويني، وقد دارت حلقتهم حول مسألة أخذ الأجرة على تعليم القرآن الكريم[٥].

أبرز العلماء الذين اشتهروا بإلقاء الدروس في المساجد:

وممن اشتهروا بإلقاء الدروس في المساجد عبد الوهاب بن رستم وذلك في مسجد "ميري"، الذي شهد حلقات دراسية[٦]، وأفلح بن عبد الوهاب إذ كانوا يتعلمون منه فنون العلم[٧]، ويعقوب بن أفلح في مسجد "جنون" في

(١) الوسياني: سير أبو الربيع، ورقة ٦٦ "مخطوط". الدرجيني: طبقات الإباضية، ورقة ٣٣٩، ٢٤٥ "مخطوط". خليفات: النظم الاجتماعية، ص٢٠.

(٢). الدرجيني: طبقات الإباضية، ورقة ٣١٧ "مخطوط"

(٣) محمد دبوز: المغرب الكبير، ج٣، ص٣٨٢.

(٤)أبو زكريا: سير الأئمة، ص١٦٦. الدرجيني: طبقات الإباضية، ورقة ١٤٠ "مخطوط".

(٥) الدرجيني: طبقات الإباضية، ورقة ٣٣٧ "مخطوط".

(٦) المخطوط نفسه، ورقة ٥٨ "مخطوط". محمد عيسى الحريري: البناء السياسي،ص١٣٠

(٧) الوسياني: سير أبو الربيع، ورقة ٤٩ " "مخطوط"".

"وارجلان"[١]، وأبو عبد الله فضل[٢]، وأبو الربيع سليمان[٣]، وذلك في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، وأما في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي طاهر بن يوسف، وأبو يوسف وجد ليش[٤]، وأبو نوح سعيد بن زنغيل[٥]، وأبو الربيع سليمان بن هارون[٦].

وبهذا يتضح لنا بأن المسجد كان له دور بارز، وإسهام فعال في التعليم، خاصة في مرحلة الدولة الرستمية عن طريق ما تم ذكره من إقامة حلقات ومجالس علمية، وإسهام الأئمة الرستميين والعلماء في ذلك. وبهذا أصبحت من أشهر أشهر الأماكن التعليمية لدى الإباضية،في تلك الفترة. وهذا لا يعني إغفال دورها بعد ذلك؛ فقد ظلت أهميتها العلمية قائمة؛ إذ يروى أن أبا إسماعيل البصير بن ملال المزاتي، أحد علماء بداية القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، كان ملازماً لزوايا المساجد لإجتناء العلوم والفوائد[٧].

(١) مصطفى باجو: أبو يعقوب الوارجلاني، ص٨٠.: .
(٢) الشماخي: السير، ج١،ص٢٢١.
(٣) سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي، ج٢،ص٣٨٠.
(٤) الشماخي: السير: ج٢،ص٤، ٢٤، ٢٥.
(٥) أبو زكريا: سير الأئمة، ص١٥٥، ١٦١. الشماخي: السير: ج٢،ص٤١.
(٦) الشماخي: السير، ج٢،ص١٧٩.
(٧) المصدر نفسه، ج٢،ص٧٥.

ونلاحظ عودة تلك الحلقات والمجالس العلمية فيها، منذ بداية القرن السادس الهجري/الحادي عشر الميلادي، وذلك عندما قام أبو زيد عبدالرحمن بن المعلى في تأسيس حلقته بمسجد "تيغورت"[١] – تغرت –.

المصليات:

هو عبارة عن براح كبير في خارج المسجد غالباً أو في مكان فسيح وأغلب الأحيان يكون غير مسقوف أو مسقوف ببعض الأخشاب أو جذوع الأشجار. وقد كانت للمصليات بالإضافة إلى دورها الديني من صلاة وعبادة، دور فعال في العلم والتعليم؛ إذ كانت تعقد فيها حلقات التدريس عند الإباضية[٢]، وقد وجدت بكثرة في تلك الفترة وما بعدها[٣]، وهذا يوضح أهمية دورها؛ بصفتها أماكن تلقي العلوم، ومن أشهرها مصلى عاصم السدراتي، ومصلى مادمان المهرطلي، ومصلى أم يحيى، ومصلى افنفان، ومصلى غزالة، ومصلى ابي سليمان الأنري[٤].

منازل العلماء:

لم تكن المساجد هي الوحيدة المتفردة بالتعليم وإقامة الحلقات والمجالس العلمية، بل وجدت أماكن أخرى للغرض نفسه، وهي منازل العلماء، التي جعل منها مدارس تعقد فيها مجالس العلم لمختلف العلوم.

(١) الدرجيني: طبقات الإباضية ، ورقة٣٨٤"مخطوط".

(٢) إلهام دحروج: مدينة قابس، ص١٥.

(٣) أبو زكريا: سير الأئمة، ص١٨٥. الدرجيني: طبقات الإباضية، ورقة ١٧٣ "مخطوط".

(٤) الشماخي: السير، ج٢، ص٢٣٥.

ويعد علماء الإباضية كغيرهم من علماء المسلمين آنذاك الذين اتخذوا من منازلهم أماكن للتعليم(١).

إذ زخرت المصادر الإباضية بالأمثلة الكثيرة، التي توضح أهمية دور تلك المنازل؛ بصفتها أماكن تلقي العلوم المختلفة منذ عهد الدولة الرستمية حتى سقوطها. وقد ظهر العديد من العلماء الذين تلقوا العلم في منازل العلماء، من أمثال أبو ذرابان بن وسيم اليغوي الذي تلقاها عند أبي خليل الدركلي، وأبو ذر صدوق الفرسطائي عند أبي مدارس مهاصر(٢)، ومنزل أبي محمد بن عبدالله الخير(٣)، ومنزل أبي القاسم بن الحسن البغطوري النفوسي، ومن أشهر من تعلم عنده أبو هارون الجلالمي الذي أصبح منزله بعد ذلك مكاناً للتعليم، وأشهر من تعلم عنده أبو محمد سعد بن يونس(٤).

ومنهم أيضاً أبو موسى عيسى بن زرعة النفوسي، وأبو الربيع هارون التملوشائي؛ الذي كان يقعد بعد صلاة الفجر للقراءة حتى تطلع الشمس، ثم يجعل من حضره من التلاميذ مجلساً فإذا افترقوا جلس للقضاء(٥)؛ لأن المنازل عند الإباضية اتخذت دار للقضاء(٦). وذلك في النصف الأول من القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي.

---

(١) أحمد مجاهد مصباح: تاريخ الحضارة، ص٢٢١.

(٢)الدرجيني: طبقات الإباضية ، ورقة ٢٥٧ "مخطوط". الشماخي: السير، ج١،ص١٨٣، ١٨٥.

(٣)الشماخي: السير، ج١،ص١٨٧، ٢٠١.

(٤)المصدر نفسه، ج٢،ص٧.

(٥) الشماخي: السير، ج٢،ص٣، ١٠، ١١.

(٦) المصدر نفسه، ج١،ص٢٠٢.

وفي النصف الثاني منه، كان هناك منزل أبي محمد عبيدة بن أفلح الذي كانت تعقد فيها مجالس العلم، إذ يروى أنه تعلم العلم في بيته لكثرة من يغشاه من المشائخ، وكان يقعد عنده أبو عبدالله بن جلداسن، ومنزل أبي علي النفوسي، وكذلك المنزل الذي عرف بدار ابن أبي عبدالله في "شروس"، وينسب إلى أبي محمد الدرفي، أحد علماء النصف الثاني من القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي. وممن كان يحضر فيه أبو يوسف وجدليش(١).

ومن ناحية أخرى كان للعالمات الإباضيات درو مهم وإسهام فعال أيضاً في جعل منازلهنّ أماكن اجتماع العلماء وإقامة المجالس والحلقات العلمية، وسنشير إليها في دور المرأة الإباضية في التعليم(٢).

المكتبات:

نتيجة ازدهار الحياة العلمية في جميع الأقطار الإسلامية في القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي، واستحداث الورق في أواخر هذا القرن(٣) وإقبال المتعلمين على تعلم العلوم على أيدي علماء ذلك العصر؛ أدى ذلك إلى نتيجة مهمة، ألا وهي انتشار النساخ وورّاقة الكتب، وبهذا وجدت المكتبات الخاصة والعامة في دار الإسلام(٤).

---

(١) المصدر نفسه، ج٢،ص٢٤، ٣٠،٢٥.

(٢) أنظر: الفصل السادس من الدراسة.

(٣) جب، هاملتون: دراسات في حضارات الإسلام، ص١٥١، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان، (د.ط)،(د.ت).

(٤) الجندي، أبو عبد الله بهاء الدين، محمد بن يوسف بن يعقوب الجندي السكسكي (ت٧٣٢هـ/١٣٣١م): السلوك في طبقات العلماء والملوك، ج١،ص٢٣١، تحقيق/ محمد بن

ولهذا اهتم أئمة الإباضية وعلمائها بالمكتبات عن طريق شراء أو نسخ الكتب وتصنيفها وجمعها في المكتبات الخاصة والعامة، وذلك لما لها من أثر بارز في نشر العلم والمعرفة.

فقل أن تجد في فترة الدراسة في أماكن التعليم، خزانة غير مملوءة بكتب نافعة تعين العلماء والطلاب فيها. ومع تقدم الأيام والسنين، زخرت المراكز والمقرات العلمية عند الإباضية بذخائر علمية نفسية من المؤلفات والمصنفات المتنوعة.

ولذلك كثرت المكتبات الخاصة والعامة لديهم؛ إذ أن علمائهم يحثون على قراءة الكتب والمحافظة عليها.

أنواع المكتبات أو خزائن الكتب أو ديوان الكتب:

تعددت المكتبات في تلك الفترة؛ فقد كانت هناك مكتبات خاصة ومكتبات عامة.

أولاً: المكتبات الخاصة:

وقد أنشأها أئمة الدولة الرستمية والعلماء لاستعمالهم الخاص. إذ انتشر هذا النوع من المكتبات عند الإباضية في المغرب، وكان يستفيد منها غيرهم من العلماء والتلاميذ؛ فكانت لعبد الوهاب بن رستم مكتبة خاصة به احتوت آلاف الكتب[1]، وكانت لمجناو بن فتى المديوني مكتبة احتوت على كتب أبي

علي بن الحسن الأكوع الحوالي،ط١، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، وزارة الإعلام والثقافة، صنعاء- الجمهورية اليمنية.

(١) الباروني: الأزهار الرياضية، ج٢، ص ٢١٩.

عبيدة بن مسلم بن أبي كريمة، وكانت لعبد القهار الفزاني كتب لإدريس الفزاني، وذلك في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي(١). وكانت أيضاً لابن زرقون كتب ومكتبة؛ فقد روى أنه وجدت كتبه وديوانه بقرية "تابديوت" في جبل "نفوسة"(٢). وكانت ايضاً للربيع بن هارون مكتبة، فيذكر بأنه وصلت له كتب من "فزان"(٣). وكذلك أبو محمد ويسلان الذي كان يقرأ على أبيه مختصر ابن محبوب وهذا يدل على وجود الكتب لديهما(٤)، وذلك في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي. وورد أن أبا محمد ورسفلاس بن مهدي مكث في داره يدرس مكتبة –ديوان- أبيه(٥)، وذلك في النصف الأول من القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي.

ثانياً: المكتبات العامة ومن أشهرها:

مكتبة المعصومة:

وأسست هذه المكتبة على يد عبد الوهاب بن رستم(٦)، وقد نسبت تسيمتها إلى قصبة المعصومة بـ"تاهرت"(١). وكانت تحوي على أمهات الكتب ومصنفاتها الدينية والفنية والصناعية وتَرَاوحَ عددها آلاف المجلدات(٢).

---

(١) الشماخي: السير، ج١، ص ١٦٥، ١٦٦.

(٢) أبو زكريا: سير الأئمة، ص ١٢٨.

(٣) الشماخي: السير، ج٢، ص ٣.

(٤) الوسياني: سير أبو الربيع، ورقة ٣١"مخطوط".

(٥) الشماخي: السير، ج٢، ص ١٩.

(٦) الجنحاني، حبيب: المجتمع العربي الإسلامي "الحياة الاقتصادية والاجتماعية"،ص١٣٨، الكويت، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، (د.ط). سوادي عبد محمد وصالح عمار الحاج: دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي" الأحوال الجغرافية والفتوح الإسلامية، قيام الإمارات والدول،

وقد تواجد العديد من كتب آل المشرق في مكتبة المعصومة، حيث يروي أن البصريين في بغداد قاموا بنسخ معظم كتب المشارقة وأودعوها في هذه المكتبة، فأقبل المغاربة على دراستها(٣).

لذلك تعد مكتبة المعصومة من المكتبات التي افتخر بها الإباضية، فكان يؤمها العلماء من جميع فئات المجتمع. وقد ظلت من المكتبات المهمة لدى الإباضية خاصة والمسلمين عامة إلى أن أحرقت من قبل الفاطميين الذين استفادوا منها قبل إحراقها، واحتفظوا بما يهمهم من كتب، وأضرموا النار في بقيتها(٤).

إلا أن بعض الكتب تم إنقاذها، وذلك عن طريق الفارين من "تاهرت" إلى "وارجلان" إذ يقال أنها جلبت الكتب إليها(٥).

مكتبة نفوسة :-

الحضارية الفكرية والأحوال السياسية والاجتماعية والاقتصادية" ،ص١٩٢،ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م. المكتب المصري، القاهرة- مصر.

(١) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص٨. سوادي عبد محمد: دراسات، ص١٩٢.

(٢) أبو زكريا: سير الأئمة، ص١١٣. محمود شيت خطاب: قادة الفتح الإسلامي في المغرب العربي، ج٢،ص٢١٩، ط٣، ١٤٠٥هـ/١٩٧٨م، دار الفكر، (د.م). الباروني: مختصر تاريخ الإباضية ، ص٤٩.

(٣) سوادي عبد محمد: دراسات، ص١٩٢.

(٤) أبو زكريا: سير الأئمة،ص١١٣. الوسياني: سير أبو الربيع، ورقة ٤ "مخطوط". الشماخي: السير: ج١،ص١٩٥. الباروني: الأزهار الرياضية، ج٢،ص٣٥٨. الجنحاني: المجتمع العربي، ص١٣٨.

(٥) مصطفى باجو: أبو يعقوب الوارجلاني،ص٧٩.

وتقع في "شروس" وتسمى بديوان نفوسة ، وتعد من المكتبات المهمة لدى الإباضية في فترة الدراسة وما بعده، إذ كانت تزخر بآلاف الكتب(١). فقد روي أن أبا محمد ورسفلاس بن مهدي أتى "شروس" ووجد فيها خزانة نفوسة- أي مكتبتها- فمكث فيها اثنتي عشرة سنة يدرس العلم. وهذا يدل على كثرة الكتب فيها(٢). وذكر أن أبا محمد ويسلان بن يعقوب أحد علماء النصف الثاني من القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، توجه إلى جبل "نفوسة"، وهناك وجد مكتبة عظيمة فمكث يدرس كتبها(٣).

مكتبة سلام ودمر:

وتقع هذه المكتبة في منطقة يقال لها "سلام" بإفريقية. وقد ورد أن طلبة سليمان بن ماطوس كانوا يتوجهون إليها لدراسة الكتب(٤)، وذلك في النصف الأول من القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي. وكان يوجد أيضاً في جبل "دمر" مكتبة أراد طلبة أبي الربيع سليمان بن يخلف الطلوع إليها لدراسة الكتب المتواجدة فيها(٥) وذلك في النصف الأول من القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي.

وإضافة للدور الذي لعبه أئمة الدولة الرستمية وعلماء الإباضية، في الاهتمام بالعلم وتنشيط الحركة العلمية، والذي أدى إلى ظهور المكتبات

(١) الباروني: الأزهار الرياضية،ج٢،ص٢٦٦.
(٢) الشماخي: السير،٢،ص١٩.
(٣) الدرجيني: طبقات الإباضية ، ورقة ٣١٥"مخطوط". الشماخي: السير،ج٢، ص٥٦.
(٤) الوسياني: سير أبو الربيع، ورقة ٣١"مخطوط".
(٥) الشماخي: السير، ج٢،ص٨٢.

الخاصة والعامة؛ فإن هناك عوامل أخرى ساعدت على انتشارها وتعددها، منها:

أولاً: الوراقون:

وهي من المواضيع التي لا يمكن إغفالها؛ بوصفها موضعاً لنشر العلم، إذ أن للوراقين دوراً مهماً في نشر العلم والتعليم. وبالرغم من ذلك فإن بعض المصادر الإباضية لا تعطي صورة واضحة عن تواجد الوراقين الإباضيين، إلا أن بعضها قد أشارت إلى وجود الوراقين والتقائهم مع علماء إباضية، من أمثال التقاء أبي القاسم يزيد بن مخلد بأحد الوراقين في القيروان (١). وما يؤكد وجود الوراقين وجامعي الكتب ما سوف نشير إليه من نسخ الكتب وشرائها وبيعها وهبتها، وتواجد المكتبات الخاصة والعامة، والنتاج العلمي للإباضية المغرب في تلك الفترة.

ثانياً: نسخ الكتب:

انتشر نسخ الكتب عند إباضية المغرب منذ القرن الثالث حتى أواخر القرن الرابع الهجريين وما بعده/ التاسع والعاشر الميلاديين، إذ اشتغلت به عدة فئات، من علماء وعامة. وكان لا يقوم بهذا العمل إلا من كان خطه جيداً وحسناً، فهذا عمروس بن فتح النفوسي، قام بنسخ مدونة بشر بن غانم الخراساني، هذا العالم الذي مر بـ"عمروس"، بجبل "نفوسة" قبل توجهه لـ"تاهرت"، فأودع عنده مدونته التي رواها عن تلاميذ أبي عبيدة مسلم بن أبي

(١) أبو زكريا: سير الأئمة، ص١٣٧. الدرجيني: طبقات الإباضية، ورقة،١٠٩ "مخطوط". الشماخي: السير٢،ص٣٤.

كريمة في الفروع[١]. وقد نسخها دون علم أبي غانم، بالرغم من أنه قد استأذنه إلا أنه لم يأذن له[٢]، فأملته عليه أخته حتى أتمها، وردها إلى مكانها. وعندما رجع أبو غانم اكتشف الأمر بعلامة وقعت على الأصل وهي نقطة حبر لم ينتبه إليها عمروس، فقال له أبو غانم: "أسرقت هذه؟ قال: نعم، أسماني سارق العلم"[٣].

ونُسخَ أيضاً كتاب الخليل الصالح، ويرجح أنه في الفقه. وقد روى الشماخي بأنَّ: "كتاب الخليل الصالح أول ما وقع بالجبل عند بعض أهل أمسين فمنع- أي العلماء- من إعطائه للنسخ فأخذته أم يحيى -إحدى العالمات الإباضيات- بل عرض عليها مرة فقالت: من أراد أن ينسخ فليأت"[٤].

وكان أبو مسور سيجا اليهراساني يعمل في نسخ الكتب؛ إذ روي أن معلمه أبو معروف مر به وهو ينسخ فقال له: "تجارة بايرة ياسيجا ، فقال: نعم لمن ضيع دراستها واتكل على خزنها"[٥] وهذا يدل على أنه كان يدرس الكتب وينسخها. وهذا أبو عمران موسى بن زكريا أحد علماء بداية القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، نسخ بيديه ديوان الأشياخ؛ إذ كان ذا خط جميل[٦].

(١) البرادي: رسالة في كتب الإباضية ، ص ٥٧، ٥٨. الشماخي: السير، ج١، ص ١٩٤.
(٢) الوسياني: سير أبو الربيع، ورقة ٣"مخطوط".
(٣) الدرجيني: طبقات الإباضية ، ورقة ٢٧٧،"مخطوط".
(٤) الشماخي: السير، ج١، ص ٢٠٠.
(٥) الدرجيني: طبقات الإباضية ، ورقة ١٤١،"مخطوط".
(٦) الوسياني: سير أبو الربيع، ورقة ٥٦ "مخطوط".الشماخي: السير، ج٢، ٧٤.

ثالثاً: شراء الكتب وبيعها وهبتها ورهنها ودفنها:

ونتيجة لوجود النساخ والوراقين انتشرت الرغبة في تجارة بيع الكتب وشرائها(١). فهذا عبد الوهاب بن رستم أرسل إلى إباضية البصرة بألف دينار ليشتروا له بها كتباً، ولما وصلتهم اتفقوا على أن يشتروا بها كلها ورقاً فكان ذلك(٢). فكانت وقر أربعين جملاً(٣). ويذكر أن ابن أبي صالح جنون بن يمريان اشترى كتاباً، فأتِ أباه، واعطاه الكتاب فصار يقرأ فيه، وسمع منه قوله: "باعك من لا يعرفك وأشتراك من لا يعرفك"(٤).

وأما بيع الكتب، فهذا كتاب هود بن محكم بيع في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي(٥). وكذلك كتاب عبد الرحمن بن رستم في

(١) حسن محمد عبدالله النابودة: كتاب الأنساب للعوتبي إشكاليات في النسب والتأليف، ص١٦٤، مجلة الدراسات الخليج والجزيرة العربية، مجلة فصلية، العدد ١٢١، صادرة عن مجلس النشر العلمي، الكويت، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

(٢) تعد أسواق بغداد والبصرة من أشهر الأسواق في الوراقة في دار الإسلام منذ القرن الثاني الهجري. خير الله سعيد: الوراقون في العصر العباسي، ص٢١، آفاق الثقافة والتراث، العدد١٩، مجلة فصلية، دائرة البحث العلمي والدراسات لمركز جمعة الماجد للثقافة، الإمارات، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

(٣) الدرجيني: طبقات الإباضية، ورقة ٤٩،٥٠ "مخطوط". الباروني: الأزهار الرياضية، ج٢، ص ٢١٨. صالح الحاج: المغرب العربي، ج١، ص٧٤.

(٤) الوسياني: سير أبو الربيع، ورقة ١٠٢ "مخطوط".

(٥) المخطوط نفسه، ورقة ١٣٦ "مخطوط". الدرجيني: طبقات الإباضية، ورقة ٢٩٥ "مخطوط". البرادي: رسالة في كتب الإباضية، ص٦٦. الشماخي: السير، ج١، ص ٢٤٥.

تفسير القرآن الكريم بيع في قلعة بني حماد في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي(١).

أما بالنسبة لهبة الكتب، فكانت من العلماء لطلابهم. فهذا ابن الجمع أحد علماء المشرق في النصف الأول من القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، وهب جميع كتبه لتلميذه سليمان بن زرقون(٢)، ثم أصبحت بعد ذلك تحت تصرف علماء الإباضية وممن يرغب في الدراسة(٣).

أما رهن الكتب فكانت معروفة أيضاً، فقد روي أن أحد العلماء جاء هود بن المحكم وطلب منه أن يعينه في استرداد -افتكاك- كتبه المرهونة عند بعض النكارية(٤).

وعن ظاهرة دفن الكتب فإنها وجدت في دار الإسلام عند بعض علماء المسلمين الذين استحبوها بقناعة، بل ورأوا ضرورتها، سواءً كان في وقت مبكر من حياتهم أم في الفترة الزمنية الأخيرة منها؛ وذلك خوفاً من أن تصير إلى من ليس من أهل العلم، فلا يعرف أحكامها وربما زاد فيها أو حذف أو استخدمها في غير محلها، فيكون ذلك منسوباً إلى كاتبها الأصلي. وقد وجدت هذه الظاهرة منذ القرن الأول والثاني الهجريين/ السابع والثامن الميلاديين(٥).

(١) الوسياني: سير أبو الربيع، ورقة ٩٤ "مخطوط".

(٢) محمد عبدالستار عثمان: مدينة ظفار بسلطنة عمان "دراسة تاريخية أثرية معمارية"، ص ٤٠، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، دار الوفاء، الإسكندرية- مصر.

(٣) أبو زكريا: سير الأئمة، ص ١٢٨.

(٤) الشماخي: السير، ج٢، ص ٦٩.

(٥) المزي، جمال الدين أبي الحجاج يوسف (ت٧٤٢هـ/ ١٣٤١م): تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ج٢٩، ص١٧٦-١٧٨، ط٢، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان.

أما علماء الإباضية فإنهم لا يحبذون خزن الكتب أو دفنها، أو التجارة بها دون الإستفادة منها، وما يؤكد ذلك لومهم لنفاث بن نصر بسبب دفنه لديوان جابر بن زيد بالرغم من توبته(١).

الصلات العلمية الداخلية والخارجية

قامت بين إباضية المغرب فيما بينها وإباضية المشرق "البصرة ومصر ومكة" صلات علمية وطيدة، وكانت لهذه الصلات أثرها الفعال في توثيق الروابط وازدياد الصلات بين الإباضية. وتعددت مظاهر هذه الصلات العلمية وتنوعت، منها:

أولاً: الزيارات والرحلات:

أ. الصلات العلمية الداخلية:

كانت للصلات العلمية الوطيدة التي قامت بين العلماء والطلاب داخل المغرب أثر فعال في توثيق الروابط؛ إذ تشير المصادر الإباضية إلى تعدد الرحلات والزيارات وتنوعها. فقد كان لها أثرها الفعال، في استفادة علماء الإباضية في كل منطقة تواجدوا فيها في المغرب، من علم علماء المناطق الأخرى أو معرفة أحوال الإباضية فيها، وهذا أدى إلى تنشيط الحركة العلمية

الفاسي، تقي الدين محمد بن محمد الحسني الفاسي المكي (ت٨٣٢هـ/ ١٤٦٤م:) العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، ج٧، ص٣١٢، تحقيق/ فؤاد السيد، ط٢، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان..

(١) الدرجيني: طبقات الإباضية ، ورقة ١٤١ "مخطوط". الباروني: الأزهار الرياضية، ج٢، ص٢٦٣-٢٦٥. يعد ديوان جابر بن زيد من الكتب المفقودة. عالم الفكر الإباضي.www.com

وتوثيق الروابط وتحقيق الوحدة الفكرية والمذهبية، فقد روي أن من "عادة أهل الجبل الاجتماع والتزاور"[١].

ومن تلك الزيارات زيارة عبد الوهاب بن رستم لجبل نفوسة، واستفادة أهل الجبل منه فيما يختص بمسائل الصلاة[٢]، وزيارة أبي مهاصر الأفطماني لمجلس أبي القاسم البغطوري في "بغطورة"، وكذلك زيارة ابني مينب لـ"تاهرت"، وزيارة أبي القاسم البغطوري لأبي محمد عبد الله بن الخير[٣]، وقد كان أبو الليث الجناوني أحد علماء أجناون يزور "جادو" ويجتمع بعلمائها، وله فتوى في إحدى المسائل أثناء زيارته لها[٤]، وكان أيضاً أبو عبد الله فضل يزور أهل الدعوة في مناطقهم القريبة من القيروان[٥]، وكذلك زيارة سليمان بن زرقون لإباضية منطقة ريصو[٦] جنوب تونس، وزيارة أحد علماء منطقة "تميجارة" لأبي محمد الدرفي في "جادو"، وزيارة أبي القاسم الفرسطائي لأبي محمد سعد بن يونس في "تيجي"، وذلك في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي. وفي النصف الأول من القرن الرابع/العاشر الميلادي، تعددت الزيارات وتنوعت أهدافها، منها زيارة أبي هارون موسى

(١) المصدر نفسه، ج١، ص ٢٥٤.

(٢) الدرجيني: طبقات الإباضية، ورقة ٥٨ "مخطوط". محمد عيسى الحريري: البناء السياسي، ص١٣٠.

(٣) الشماخي:السير، ج١، ص ١٧٣، ١٧٥، ٢٠١،٢٠٢.

(٤) المصدر نفسه، ج١، ص ٢٠٦.

(٥) ابن سلام بن عمرو(ت٢٧٣هـ/٨٧٤م): الإسلام وتاريخه من وجهة نظر إباضية، ص ١٥٧، تحقيق/ ر.ف- شفارتز وسالم بن يعقوب، ط١، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، دار اقرأ، بيروت- لبنان.

(٦) أبو زكريا: سير الأئمة، ص ١٣٠.

وتلاميذه إلى "جادو" للالتقاء بعلمائها[١]، وكذلك زيارة أبي زكريا فيصل بن مسور، وأبي صالح ابن بكر بن قاسم، وأبي موسى عيسى، وهم من علماء "جربة" إلى "أريغ" و"وارجلان" وكان غرضها علمياً وزيارة أهل الدعوة[٢]، وكذلك زيارة ابني أبي زكريا فيصل إلى جبل "تمولست" لتفقد أهل الدعوة وللبحث عن أبي عبد الله محمد بن بكر، للتعلم على يديه في نواحي المغرب، الذي كان بدوره يتعلم في القيروان وأراد زيارة أبي عمران موسى بن أبي زكريا في "تجديت"[٣] للتعلم على يديه بالرغم من علمه. وقد كان ترحال وتزاور العلماء فيما بينهم صفة ملازمة لهم. فهذا أبو صالح الياجراني؛ على الرغم من علمه، كان يقوم برحلات علمية للاستفادة حتى على يد طلبته، منها رحلته إلى منطقة يقال لها "درج" ليحضر مجلس العلم لأحد علمائها[٤]، ورحلته إلى غار "تسلي" ليحضر مجلس العلم لتلميذه أبي عبد الله محمد بن بكر[٥]. وهناك رحلات جماعية للعلماء، منها رحلتهم لجزيرة "جربة" للتباحث في المسائل الفقهية[٦]، وزيارة أبي صالح بن أبي بكر بن قاسم اليراساني لجبل "دمر"[٧].

ولم تقتصر الرحلات والزيارات بين علماء الإباضية فقط، وإنما كان للعالمات نصيب من رحلاتهم؛ فقد قصد أبو عبيدة عبد الحميد الجناوني منطقة يقال لها "أرجي أزمار" لاستشارة إحدى العالمات المعروفات بالعلم والورع

(١) الشماخي: السير، ج١، ص ٢٤٢،ج٢، ص ٦، ٧، ٢٩.
(٢) الدرجيني: طبقات الإباضة، ورقة ٢٩٤ "مخطوط".
(٣) أبو زكريا: سير الأئمة، ص ١٧٣، ١٧٤.
(٤) الدرجيني: طبقات الإباضية ، ورقة ٣١٨، ٣١٩ "مخطوط".
(٥) الشماخي: السير، ج٢، ص ٥٦، ٥٧.
(٦) الدرجيني: الإباضية ، ورقة ٢٩٦، ٢٩٩، "مخطوط". الشماخي: السير، ج١، ص ٢٤٦.
(٧) الوسياني: سير أبو الربيع، ورقة ٣٠ "مخطوط".

والدين في أمر توليته لجبل نفوسة[١]، وذلك في النصف الأول من القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي. وفي النصف الثاني منه، كان مصلوكن كثيراً ما يرتحل من قريته لزيارة زورغ إحدى العالمات الإباضية في الأرجانية –قرية في نفوسة–، وكذلك أم حسنون اللواتية التي كانت تعرف بأفضل عجوز بالجبل، وكان العلماء كثيراً ما يزوروها[٢]. وذلك في النصف الأول من القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي.

ب- الصلات العلمية الخارجية:

تعد البصرة المركز الأول عند الإباضية في مختلف مناطق تواجدهم، منذ النصف الأول من القرن الأول والثاني الهجريين/ السابع والثامن الميلاديين، وانتقلت بعدها إلى عُمان. لهذا نجد أكثر الصلات العلمية من ناحية الرحلات والزيارات في هذه الفترة مرتبطة بالبصرة؛ منها رحلة ابن مغطير النفوسي[٣]، ورحلة من عرفوا بـ"حملة العلم الخمسة"[٤]، وكان غرضهم من الرحلة هو أخذ العلم من أبي عبيدة مسلم بن أبي كريم [٥].

أما المشرق فالمقصود به عُمان أو خراسان أو مصر أو مكة، فقد وصل بعض العلماء وطلبة الإباضية إلى المشرق لتلقي المزيد من العلم والدراسة. فهذا عبد

(١) الدرجيني: طبقات الإباضية ، ورقة ٦٢ "مخطوط". الشماخي: السير،ج١، ص١٥٨.
(٢) الشماخي: السير، ج١، ص ٢٠٤، ٢٥٢.
(٣) الوسياني: سير أبو الربيع، ورقة ١٥٩ " "مخطوط"". الشماخي: السير، ج١،ص١٢٨
(٤)نزار عبد اللطيف الحديثي: الإباضية ،ص١٦٣، مجلة سبأ، مجلة حولية، العدد (١٤-١٥) ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م. عدن – الجمهورية اليمنية.
(٥) البطاشي: غاية المأمول،ج٩، ص٣. محمود إسماعيل: الحركات السرية، ص٢٥.

العزيز بن الأوز أحد علماء النصف الثاني من القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي كانت له رحلة إلى المشرق(١).

ومن ناحية أخرى يعد موسم الحج في مكة من الرحلات في طلب العلم وتحصيله والاشتغال به وتعليمه، بالإضافة إلى معرفة أحوال الإباضية في مناطق تواجدهم؛ لذلك كثرت الرحلات في طلبه، ولهذا وُصف إباضية المغرب بأنهم أكثر حجاً(٢) حتى بعد فترة الدراسة؛ إذ يعد موسم الحج من أفضل المواسم لإلتقاء علماء الإباضية(٣). فعمروس بن فتح كانت له زيارة إلى مكة لتأدية مناسك الحج؛ إذ التقى فيها بأبي سفيان محبوب بن رحيل(٤). وقد تواجد الإباضية فيها بكثرة(٥). إذ ذكر أنه في زمن ابن سلام الإباضي في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي بلغ عددهم مائة وخمسون عالماً أباضياً(٦).

ولا شك أن علماء الإباضية الذين توافدوا إلى مكة والبصرة وعُمان كانوا يفدون إلى مصر أولاً ويستقرون فيها بعض الوقت، ولكي يقابلوا من فيها من

(١) نايف عبد الجبار السهيل:الإباضية في الخليج العربي في القرنين الثالث والرابع الهجري،ص١٥٩، ط٢، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م، مكتبة الاستقامة،مسقط -عُمان.

(٢) الوسياني: سير أبو الربيع، ورقة ٥ "مخطوط".

(٣) الشماخي: السير، ج١،ص١٧٤، ١٨٧، ٢٠٤، ٢٠٥،ج٢ص١٣٧.

(٤) الدرجيني: طبقات الإباضية ، ورقة ٢٧٩ "مخطوط".

(٥) أبو الربيع، بن حبيب ومخلد بن العمرو ووائل بن أيوب وجماعة من المسلمين، (من علماء القرن الثاني الهجري، الثامن الميلادي): رسالة في الحجة، ص٤١، تحقيق/ سليمان بن إبراهيم با يزيد الواجلاني ،ط١، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط- عُمان.

(٦) نايف عيد: الإباضية في الخليج العربي، ص١٤٨.

علماء الإباضية ثم يستأنفون رحلتهم. فهذا أبو المنيب محمد بن يانس كانت له رحلة لمصر(١).والمعروف عنه أنه عالماً وليس تاجراً. وعلى الأرجح زيارته لمصر هو للالتقاء بعلماء الإباضية فيها، وذلك في النصف الأول من القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي. وفي النصف الثاني منه زيارة أبو ميمون لابن عباد في مصر، لاستشارته في مسألة الحج وبعدها توجه للحج. وكذلك سلام بن عمرو التقى فيها بابي إبراهيم موفق أحد فقهاء ومفتي الإباضية في مصر، والتقى ايضاً ابنه ابن سلام بأبي محمد بن عبد الملك الحجازي أحد فقهاء الإباضية في مصر(٢)، وأيضاً زيارة فرج بن نصر النفوسي للحجاز والبصرة لطلب العلم على علماء الإباضية هناك(٣). وكذلك زيارة بعض علماء الإباضية لأبي خزر وهو في مصر عند توجههم لأداء فريضة الحج(٤)، وذلك في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي. وهذا يدل على أن تواجد علماء الإباضية فيها بكثرة في تلك الفترة(٥).

وكان لعلماء الإباضية في المشرق حظاً من تلك الصلات العلمية، والتي تتخللها زيارات عامة، وتفقد أحوال الإباضية في المغرب لتقوية الروابط المذهبية والفكرية؛ ففي زمن إمامة عبد الرحمن بن رستم زاره بعض علماء

(١) الشماخي: السير، ج١، ص ١٤٥، ١٤٦، ١٩٨.
(٢) ابن سلام: الإسلام وتاريخه، ص ١٣٦.
(٣) الدرجيني: طبقات الإباضية، ورقة ٧٠ "مخطوط". سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي، ج٢، ص٣٤٨.
(٤) الوسياني: سير أبو الربيع، ورقة ١٤٨ "مخطوط".
(٥) ابن سلام: الإسلام وتاريخه، ص ١٣٦. محمد ناصر صالح: منهج الدعوة عند الإباضية، ص ٢٦٦، ط٢، ص١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، مكتبة الاستقامة، مسقط- عُمان.

إباضية البصرة[١]. وفي إمامة ابنه أيضاً عبد الوهاب بن رستم زار عالم إباضي "تاهرت" وقبلها زار "جبل نفوسة"، لتفقد أحوالهم[٢].

ومن أبرز الزيارات إلى المغرب زيارة أبي غانم الخراساني لـ"تاهرت"، وقبلها زيارته لجبل "نفوسة"[٣]. وذلك في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي.

ووصل أيضاً بعض علماء المشرق إلى المغرب، ومنهم ابن الجمع، إذ التقى في مدينة "توزر" بأبي الربيع سليمان بن زرقون، الذي أصبح من أشهر علماء الإباضية؛ وكان ابن الجمع قد أخذ على عاتقه تعليم ابن زرقون، فتعلم على يديه، وبعدها بلغ بهما الترحال مدينة "سجلماسة" في جنوب المغرب الأقصى حاضرة الدولة المدرارية الصفرية، إذ أخذ ابن الجمع يعلم أهلها[٤]، وذلك في النصف الأول من القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي. وفي النصف الثاني منه زار أحد علماء الإباضية ابي نوح سعيد بن زنغيل، وقد كان هذا العالم الإباضي كثير الزيارات للمغرب في تلك الفترة [٥].

---

(١) أبو زكريا: سير الأئمة، ص ٥٤.

(٢) الدرجيني: طبقات الإباضية ، ورقة٢٥٠ "مخطوط". الشماخي: السير، ج١، ص ١٥٥. نايف عيد: الإباضية في الخليج العربي، ص ١٥٧.

(٣) الوسياني: سير أبو الربيع، ورقة ٣"مخطوط". الدرجيني: طبقات الإباضية ، ورقة ٢٧٨ "مخطوط"..

(٤) أبو زكريا: سير الأئمة، ص ١٢٨. محمد عبد الستار: مدينة ظفار، ص ٤٠.

(٥)أبو زكريا: سير الأئمة، ص١٦٣.

ثانياً: تبادل المراسلات والكتب العلمية والفقهية:

أ-الداخلية:

وفي حالة تعذر اللقاء بين الإباضية فيما بينهم داخل المغرب، فإنهم كانوا يستعيضون عن ذلك بالمراسلات، فقد كانوا يتراسلون فيما بينهم للاستفسار أو إصدار الفتاوى أو إرسال الرسائل أو طلب تأليف الكتب أو إحضارها أو دراستها. فهذا عبد الوهاب بن رستم في "تاهرت"، بحكم مقر حكمه وإمامته، كان يكتب لأهل جبل "نفوسة" رداً على بعض الأسئلة التي كان قد أرسلوها إليه بخصوص بعض المسائل الفقهية، والتي عرفت بـ"مسائل نفوسة"[١] ورسالة أهل نفوسة لعبد الوهاب بن رستم[٢].

وكان لأبي الحسن جناوبن فتى المديوني أجوبة على اسئلة عبد القاهر بن خلف، وكذلك كان لأبي بكر بن أسدين ولأبي يوسف وزيون بن الحسن أجوبة في مسائل سُئِلا عنها[٣]. وكتب أيضاً أبو مرداس مهاصر إلى عبد الخالق الفزاني يسأله عن مسألة من مسائل الدماء، إذ كان عبد الخالق من أعلم أهل زمانه بالدماء وأحكامها[٤]. ولم يقتصر التعاون العلمي والفقهي بين إباضية المغرب على جانب طلب الفتوى أو الرد على الاستفسارات، بل إنهم كانوا

---

(١) الحارثي: العقود الفضية،ص١٤٢ .وانظر: النتاج العلمي لعلماء الإباضية في الفقه في الفصل السابع من الدراسة.

(٢) توجد نسخة من رسالة أهل نفوسة لعبد الوهاب بن رستم في الخزانة البارونية في جزيرة جربة برقم (١٢١).com.عالم الفكر الإباضي.www

(٣) الشماخي: السير، ج١،ص١٦٥ .

(٤) لدرجيني: طبقات الإباضية ، ورقة ٢٤٩ "مخطوط"

يطلبون من العلماء أن يحضروا للتدريس أو دراسة الكتب أو إحضارها أو تأليفها.

فهذا جناو بن فتى المديوني كتب إلى عبد القهار بن خلف يرغبه في القدوم عليه لدراسة كتب أبي عبيدة، وإحضار كتب إدريس الفزاني لدراستها(١). وكتب ايضاً أبو صالح جنون بن يمريان لأبي موسى هارون بن أبي عمران يرغبه في القدوم لوراجلان للتدريس(٢).

ومن ناحية أخرى فإن تأليف الكتب وإرسالها يعد صورة من صور التعاون العلمي والفقهي بين علماء الإباضية. فهذا عبد الخالق الفزاني وبعض شيوخ فزان طلبوا من عمروس بن فتح أن يؤلف لهم كتاباً في الأصول. وقد اتى أبا سهل الفارسي رجل من "قنطرارة" من أهل الدعوة في مسكنه في "مرسى الدجاج" بجزائر "بني مزغنات"، فسأله أبو سهل عن أهل الدعوة، ودون لهم اثنى عشر كتاباً وأرسله معه وذلك في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي. وفي النصف الأول من القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي أتت الربيع بن هارون كتب من إباضية فزان(٣).

ومن مظاهر الصلات العلمية والفقهية أخذ الفتاوى من علماء الإباضية من أمثال: افلح بن عبد الوهاب، وعمروس بن فتح، وأبو القاسم يزيد بن مخلد،

(١) الشماخي: السير، ج١،ص١٦٥.
(٢) الوسياني: سير أبو الربيع، ورقة ١٧٥ "مخطوط".
(٣) الشماخي: السير،ج١،ص١٩٦، ٢٤٤، ج٢،ص٣.

وأبو خزر يغلى بن زلتاف، وأبو نوح سعيد بن زنغيل، وسليمان بن زرقون[١]، وسليمان بن ماطوس[٢].

ولم يقتصر التعاون بين علماء الإباضية فيما بينهم على ما أشرنا إليه من تعاون علمي وفقهي، وإنما كان علماء الإباضية في شتى أنحاء المغرب يطمئنون على أحوال أهل الدعوة في مناطق تواجدهم لتأكيد الروابط المذهبية والفكرية، وتقويتها وتوثيقها[٣].

ب-الخارجية:

لم تكن الصلات الثقافية العلمية متاحة للجميع؛ إذ أنها تتطلب دخل مادي، بالإضافة إلى أن الكثيرين كانوا يخشون أن يقعوا في قبضة العباسيين وأمرائهم وخاصة العلماء المشهورين منهم، كما حدث لعبد الوهاب بن رستم؛ إذ منعه علماء جبل نفوسة من التوجه لمكة لأداء فريضة الحج ولقاء علماء الإباضية فيها[٤] . وهذا ما حدث لحفيده أبي بكر محمد بن أفلح إذ قبض عليه من قبل العباسيين عندما أراد أداء فريضة الحج، وأودعوه في سجن بغداد[٥].

لهذا استعاض علماء الإباضية نتيجة تلك الظروف من تعقب العباسيين وولاتهم للخارجين عنهم، بالمراسلات، إذ كانوا يتراسلون فيما بينهم، منها

(١) الوارجلاني: الدليل والبرهان، ج٢،ص٩٧، ٩٩، ١٠٢. الشماخي: السير،ج٢،ص١٣٤، ١٤٧.

(٢) الوسياني: سير أبو الربيع، ورقة ٣٥ "مخطوط".

(٣) الدرجيني: طبقات الإباضية ، ورقة٢٨٦، ٢٨٧ "مخطوط". الشماخي: السير،ج١، ص٢٥٤، ج٢،ص٤٥.

(٤) أبو زكريا: سير الأئمة،ص٧٦.

(٥) الدرجيني:طبقات الإباضية ، ورقة ٧٢"مخطوط".

رسالة أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة من البصرة لأبي الخطاب بن المعافري وأباضية المغرب في الزكاة[١]، وكذلك مراسلة عبد الوهاب بن رستم لمحمد بن عباد في مصر، والربيع بن حبيب الفراهيدي في مكة لأخذ الفتوى منهما في أمر الحج ورد كليهما له[٢]. ومراسلة عبد الوهاب للربيع بن حبيب الفراهيدي وغيره من العلماء في مكة لأخذ الفتوى فيما نشب بينه وبين ابن أفندين في أمر الإمامة وردهم له فيما يعرف برسالة الحجة[٣]، ومراسلاته أيضاً لأبي العباس الخراساني ورده له[٤].

وهناك أيضاً رسالة محمد بن محبوب بن رحيل سنة ٢٦٠هـ/ ٨٧٣م من إباضية عُمان إلى إباضية المغرب، في شأن الذين يقومون بأعمال تخالف ما يأمر به الإمام.

وكذلك رسالة إمام عُمان الصلت بن مالك (ت٢٧٣هـ/٨٨٦م) إلى أهل المغرب، وردّه على بعض أسئلة إباضية المغرب بخصوص العالم أو القاضي أو الإمام أو العامل الذي يتلقى الهدية من الناس[٥]. ولم يقتصر الصلات العلمية والفقهية بين إباضية المغرب والمشرق على طلب الفتاوى والرد على

(١) أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة (ت١٤٥هـ/٧٤٨م): رسالة أبي كريمة في الزكاة للإمام أبي الخطاب المعافري، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط- عُمان، هـ/١٩٨٢م، (د. ط).

(٢) أبو زكريا: سير الأئمة، ص٧٦. الشماخي: السير،ج١،ص١٤٠.

(٣) الربيع بن حبيب :رسالة الحجة،ص٦٠-٦٦.

(٤) ابن سلام: الإسلام وتأريخه،ص١٦١.

(٥) الكندي: بيان الشرع، ج٢٨،ص١٩٥.

الاستفسارات، بل تعدى إلى طلب الكتب؛ فقد ارسل عبد الوهاب بن رستم إلى إباضية البصرة لشراء له كتب(١).

ومن الكتب الإباضية المهمة التي وصلت إلى إباضية المغرب في تلك الفترة، مسند أبي الربيع بن حبيب الفراهيدي، الذي اعتمد عليه إباضية المغرب في الحديث(٢)، وكتاب أبي سفيان محبوب بن رحيل العماني المشتمل على السير والفقه والكلام والعقائد(٣). ويروى عن أفلح بن عبد الوهاب قوله: "عليكم بدراسة كتب أهل الدعوة، ولا سيما كتاب أبي سفيان وعهده الذي كتب به للإمام عبد الله بن يحيي الكندي(٤)".

ومنها أيضاً كتاب بشير محمد بن محبوب بن رحيل، الذي يعرف بمختصر ابن محبوب ويحتوي على سبعين جزءاً، ولم يصل إلى المغرب سوى الجزء السادس وهو في الفقه(٥). وكذلك كتاب أبي غانم الخراساني، والذي يعرف بمدونة أبي غانم الخراساني(٦) أو الغانمي(٧) أو الغنيمة (٨)، ويحتوي على اثني

(١) الدرجيني: طبقات الإباضية ، ورقة ٤٩، ٥٠ "مخطوط". الباروني: الأزهار الرياضية، ج٢، ص٢١٨. صالح الحاج: المغرب العربي، ج٢، ص٧٤.

(٢) الدرجيني: طبقات الإباضية ، ورقة ٢٣٢، ٢٣٣ "مخطوط". الشماخي: السير، ج٢،ص١٠٥.

(٣) هذا الكتاب مفقود. .com.عالم الفكر الإباضي.www.

(٤) البرادي: رسالة في كتب الإباضية ، ص٥٦. صالح باجو: أبو يعقوب الوراجلاني،ص٩١.

(٥)الوسياني: سير أبو الربيع ورقة ٣٣"مخطوط". الدرجيني: طبقات الإباضية ، ورقة ٣٠٦"مخطوط". الشماخي: السير،ج٢،ص٤٩. السالمي: اللمعة المرضية، ص٢٤. ويعد من الكتب المفقودة..com. عالم الفكر الإباضي.www

(٦) الدرجيني: طبقات الإباضية ، ورقة٢٧٨ "مخطوط".

(٧) الشماخي: السير، ج٢،ص١٠٦،٦٥.

(٨) الوسياني:سير أبو الربيع، ورقة ٣ "مخطوط".

عشر جزءاً، رواها أبو غانم عن تلاميذ أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة. وقد أعتمد عليها إباضية المغرب في الفقه[١] حتى أواخر القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، إذ أُلِف ديوان الأشياخ في الفقه[٢].

وقد أفرد البرادي[٣] هذه الأجزاء وأطلق عليها بمصطلح الكتاب وهي:

- كتاب الصيام.
- كتاب الشهادات.
- كتاب الأحكام.
- كتاب النكاح.
- كتاب في الطلاق.
- كتاب ثاني في الطلاق.
- كتاب الأشربة والحدود.
- كتاب البيوع والأحكام المختلفة.
- كتاب الصلاة.
- كتاب الوصايا.

(١) الدرجيني: طبقات الإباضية ،روقة٢٧٨ "مخطوط". الشماخي: السير،ج٢،ص٦٥.
(٢) البرادي: رسالة في كتب الإباضية ، ص٥٧، ٥٨.
(٣) المصدر نفسه، ص٥٧، ٥٨.

obeikan.com

- كتاب الهبات والهدايا.
- كتاب الرجل يضاف له كتاب الزكاة.

ومن كتب أبي غانم الخراساني التي وصلت للمغرب في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، ولا يمت لمدونته بصلة، كتاب "اختلاف الفتيا"[١].

وهناك كتاب ذكر في هذه الفترة، هو كتاب "إصلاح اللغة" لعبد الله بن مسلم بن قتيبة، وكان عند ابن الصغير المالكي؛ الذي قرأه في حضرة أبي عبيدة الأعرج[٢] وذلك في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي. وهذا الكتاب ليس من تصانيف الإباضية، مما يؤكد على الحرية المذهبية في ظل الدولة الرستمية حتى في إقتناء الكتب وقراءتها[٣] .

ومن ناحية أخرى فإن التعاون العلمي والفقهي بين علماء الإباضية في المشرق والمغرب لم يقتصر على ما ذكر، فقد كان علماء الإباضية في المغرب

(١)البرادي: رسالة في كتب الإباضية، ص٥٨. الشماخي: السير، ج١،ص١٠٦.

(٢) البرادي: الجواهر المنتقاة، ورقة١٨٦ "مخطوط". الباروني: الأزهار الرياضية، ج٢،ص٣٠٣، ٣٠٤

(٣) عاش في كنف الدولة الرستمية عدداً من أصحاب المذاهب الإسلامية من واصلية، ومالكية، ولم يقتصر على تواجد هؤلاء، فقد عاش في كنفها ومن بعدها في جبل نفوسة عدداً كبيراً من اليهود. الدرجيني: طبقات الإباضية ، ورقة ٢٦١ "خطوط". البرادي: الجواهر المنتقاة، ورقة ١٨٢، ١٨٣ "خطوط". الشماخي: السير،ج١٨٦،١، ٢٠٧،ج٢،ص٢٨. الباروني: الأزهار الرياضية، ج٢،ص٣٤٩، ٣٥٠. علي أحمد: اليهود في الأندلس والمغرب خلال العصور الوسطى،ص١٦٦، مجلة الدراسات التاريخية، العدد المزدوج (٥٧، ٥٨) مجلة فصلية، دمشق- سوريا،١٤١٦هـ/١٩٩٦م،

يروون عن علماء إباضية المشرق؛ فقد روى عبد القاهر بن خلف عن جابر بن زيد[١] وحملة العلم الخمسة عن أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة، وكذلك روى إباضية المغرب عنهم[٢]، فهذا أبو نوح سعيد بن زنغيل روى عن إبن محبوب[٣]. واستمر هذا التعاون إلى ما بعد فترة الدراسة [٤].

مما سبق عرضه نستنتج أن للمراكز وأماكن التعليم دور مهم في تنشيط الحركة العلمية، ولذا لا بد أن تكون لها نظم تعليمية سارت عليها لإيجاد حياة علمية، وهذا ما سنلاحظه في الفصل الخامس.

(١) الوسياني: سير أبو الربيع، ورقة ١٠٦، ١٣٩، ١٤١. الدرجيني: طبقات الإباضية ،ورقة ٢٥٥ "مخطوط". الشماخي: السير، ج٢،ص٢١٥، ٢١٦.

(٢) الشماخي: السير، ج٢،ص٢٠٩،١٣٦.

(٣) الوسياني: سير ابو الربيع، ورقة ١١٩ "مخطوط".

(٤) الوارجلاني، أبو يعقوب يوسف إبراهيم (٥٧٠هـ:/١١١٢م) الدليل والبرهان المعروف بدليل لأهل العقول،ج٢،ص٩٥، ٩٦، ١٠٣، تحقيق/سالم بن حمد الحارثي، ط٢، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، وزارة التراث والثقافة،مسقط- عمان. الشماخي: السير،ج٢،ص١٣٧.